ابن دريد: حياته و منهج كتابه "جمهرة اللغة"

(*)حافظ محمد ايوب سعيدى

Abstract:
In this article, the researcher is going to shed light on the detail biography of *Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan ibn Duraid al-Azdi*, often known simply as *Ibn Duraid*. This study further specifies his syntactical school of thought in shadow of historical arguments. The researcher discussed his overall academic services, encompassing; literature, lexicography, Philology and comparative linguistics. He all most reviewed his books about above mentioned faculties.
The focus of this research is his best known early and influential dictionary of the Arabic language, *Jamhara fi 'l-lugha*,(جمهرة اللغة) which was only the second attempt in history to compose a comprehensive dictionary of the language. This study determines the methodology of *Jamhara fi 'l-lugha*, describing all sources of this particular book. As it proved via this research that the major source of this lexicon was *Kitab al-'Ayn*, written by *Al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi*, the first ever dictionary for the Arabic languag

(*) باحث بمرحلة الدكتوراه فى كلية اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية بهاولفور- باكستان.

e. But *Ibn Duraid* did not follow his method. The method of *Jamhara fi 'l-lugha* is more easier than the methodology *Kitab al-'Ayn.* In this regard the researcher concluded his research paper with best consequences.
Keywords: literature, lexicography, Philology, comparative linguistics *Jamhara fi 'l-lugha, Kitab al-'Ayn.*

ابن دريد: حياته و شخصيته

هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حمامي بن واسع بن وهب ابن سلمة بن حنتم بن حاضر بن حنتم بن ظالم بن حاضر بن اسد بن عدي ابن مالک بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهير – ويقال زهران – ابن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالک بن تضر بن الأزدد بن الغوث بن نبت بن مالک بن زيد بن كهلان بن سيأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الإمام أبو بكر الأزدي اللغوي الشافعي.

مولود بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وقرأ علي علمائها، ثم صار إلي عمان فأقام بها إلي أن مات. ودريد تصغير أدرد (١) وقال محمد بن المعلّي الأزدي في كتاب الترفيص: "أرى أن دريداً من قولهم: رجل أدرد والدرد: ذهاب الأسنان، صغر تصغير ترخيم".

وجده حمامي قال فيه ابن دريد: كان أوَّل من أسلم من آبائي حمامي وهو من السبعين راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان إلي المدينة لما بلغهم وفاة الرسول صلي الله عليه وسلم حتي أدوه (٢).

قال ابن النديم: "وهو منسوب إلي قرية من نواحي عمان يقال له حمامي" (٣).

وكان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار (٤).

روي عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي وكان رأس أهل هذا العلم.

روي عنه خلق، منهم أبو سعيد السيرافي، والمرزباني وأبو الفرج الأصبهاني، وله شعر كثير. وروي من أخبار العرب وأشعارها مالم يروه كثير من أهل العلم (٥). وقال أبو الطيب اللغوي في كتابه مراتب النحويين عند ذكر ابن دريد: ‘‘هو الذي انتهت إليه لغة البصرين، وكان أحفظ الناس، وأوسعهم علماً، وأقدرهم علي شعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريدً (٦).

وكذلک يقال عنه: ‘‘هو أشهر العلما، وأعلم الشعرائ’’ (٧)، وكان عالما باللغة وأشعار العرب (٨).

قال الخطيب البغدادي: كان واسع الحفظ جدا، تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها، فيساق إلي إتمامها ويحفظها (٩) وله من الكتب؛ كتاب الجمهرة في علم اللغة، كتاب السرج واللجام، كتاب الاشتقاق، كتاب المقتبس، كتاب الوشاح، كتاب الخيل الكبير، كتاب الخيل الصغير، كتاب الأنواء، كتاب الملاحن، كتاب اللغات، كتاب السلاح، كتاب غريب القرآن ولم يتمه، كتاب أدب الكاتب، كتاب فعلت وافعلت (١٠).

عرض لابن دريد فالج في آخر عمره فسقي الدرياق فشفي ورجع إلي أفضل مما كان عليه من الإملاء علي تلامذته، ثم عاوده الفالج، وكان إذا دخل عليه أحد ضجّ وتألّم ولم يصل إليه، وعاش بعد ذلک عامين، كان يكثر من شرب الخمر، وقيل: من كان يدخل عليه يستحي مما يري من العيدان المعلقة والشراب (١١).

واتفق يوم وفاته من سنة إحدي وعشرين وثلثمائة ووفاة أبي هاشم الجبائي. ودفنهما جميعا في مقبرة واحدة، فقال الناس: مات علم اللغة والكلام بموتهما (١٢).

مؤلفاته الأخري التي تضم عناصر معجمية

الحديث عن إنتاجه العلمي يطول، ولكني أقول باختصار هنا:

إنه من مصنفي معاجم الموضوعات ومعاجم الألفاظ، فله من النوع الأول كتاب السرج واللجام وكتاب الأنواء وكتاب السلاح وكتاب غريب القرآن وكتاب صفة السحاب والغيث ورواد العرب وكتاب الخيل الصغير وكتاب الخيل الكبير (١٣).

بعض هذه الكتب طبع في الهند وبعضها طبع في أوروبا وكتاب "غريب القرآن" لم يتمه ابن دريد (١٤).

وله من النوع الثاني للمعاجم المعجم الضخم: "جمهرة اللغة".

تأثير شيوخه في شخصيته المعجمية

تأدّب ابن دريد بالبصرة وقرأ علي علمائها، وطلب اللغة والأدب والشعر والنسب وكان قوي الحفظ، وقرأ علي علماء البصريين وأخذ عنهم مثل أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (٧٨٨ – ٨٦٩م) البصري، النحوي، اللغوي، العروضي، والمقرئ. روي أبي حاتم عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة معمر بن المثني والأصمعي، وأخذ عنه المبرد وابن دريد. ومن تصانيفه: اختلاف المصاحف، اعراب القرآن، ما يلحن فيه العامة، القراء ات المقصور والممدود، وله شعر (١٥).

وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٧٩٣–٨٧١م) البصري النحوي، اللغوي، الراوية للشعر، عالم بأيام العرب والسير، أخذ عن الأصمعي، وقرأ علي المازني النحو واللغة، وأخذ عنه المبرد، وقتلته الزنج بالبصرة ومن تصانيفه: كتاب الخيل، كتاب الإبل، كتاب ما اختلفت اسماؤه من كلام العرب وله شعر (١٦)، والحسن بن دريد عمه، والتوزي والزيادي، والمجرموزي وغيره (١٧). وري أبو بكر عن عمّه الحسن بن محمد، كتاب مسالمات الإشراف(١٨).

وقد تأثر ابن دريد بهولاء تأثراً علمياً وخاصة تأثراً معجمياً ولا سيما بأبي حاتم وأبي عبيدة والأصمعي وأخذ ابن دريد عنهم كثيراً في المجهرة. وقد جمع في آخر أبواب الجمهرة طائفة من النوادر يبوبها في أبواب فرعية، دارت مواد كل منها حول موضوع خاص علي مثال ما جمع أبو حاتم وأبو عبيدة والأصمعي في نوادرهم ورسائلهم التي تدخل في عداد المعاجم المبوبة، أو علي مثال ما صنع بعض اللغويين من جمع لغويات من شتيت لغات العرب. وابن دريد لا يخفي تلمذته علي كتب غيره في هذا الباب فينقل عنها نقلاً صريحاً، مثال ذلک: "باب من نوادر ماجاء في القوس وصفاتها عن أبي عبيده معمر بن المثني "باب" أسماء الأيام في الجاهلية "باب" أسماء الشهور في الجاهلية "باب" ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتي صار كاللغة فينقل فيه بعضا مما أخذ من الفارسية والرومية والنبطية والسريانية، ويستشهد لذلک أحيانا (١٩).

منهج جمهرة اللغة

الأهداف من تأليف الجمهرة

يبين عنوان الكتاب المجال الذي بحث ابن دريد عن ألفاظه فيه وقد شرحه المؤلف في المقدمة إذ قال: هذا كتاب جمهرة الكلام ومعرفة جمل منها تؤدي الناظر فيه إلي معظمها. وإنما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي المستنكر فالجمهورا الشائع هو المقصود من الكتاب (٢٠). يقول محمد بن ابراهيم الحمد: هدف الجمهرة واضح من المقدمة، ويكاد ينحصر في أمرين:

١- جمع الألفاظ الشائعة المألوفة والبعد عن الوحشي المستنكر.

٢- جمع الألفاظ بطريقة ميسرة خلاف ما كانت عليه طريقة الخليل (٢١).

قال ابن دريد في مقدمة الجمهرة: قد ألف عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي – رضوان الله عليه– كتاب العين، فأتعب من تصدي لغايته، وعني من سما إلي نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، كل من بعده له تبع، أقر بذلک أم جحد، ولكنه–رحمه الله–ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه، وذكاء فطنته، وحده أذهان أهل دهره. وأملينا هذا الكتاب والنقص فينا فاش، والعجز له شامل، إلا خصائص كداري النجوم في أطراف الأفق، فسهلنا وعره ووطأنا شأذه، وأجرينا علي تاليف الحروف المعجمة، إذ كانت بالقلوب أعلق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة" (٢٢).

منهج ترتيب الكلمات في الجمهرة:

يعد معجم الجمهرة ثاني معجم شامل في العربية بعد كتاب العين، وقد حاول أبن دريد أن يخالف الخليل في ترتيب الحروف فاتبع نظام الخليل بن أحمد للتقليبات وهو تقليب المادة حسب حروفها، ولكنه خالف الخليل في ترتيب الحروف، فاتبع الترتيب الهجائي للحروف. ولم يتبعه في هذا أحد من أصحاب المعاجم من بعده ولهذا يعده بعض

الباحثين ممثلا لمدرسة جديدة هي مدرسة التقليبات الأبجدية، ويمكن أن يوجز المنهج الذي سار عليه ابن دريد فيما يلي: (٢٣)

١- قسم أبنية الكلام إلي ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي وسداسيولفيف، وبدأ بهذا التقسيم. لم يكتف بهذه القسمة السداسية فعقد الموضوع بتقسيمات فرعية، فالثنائي تحته:

أ- ثنائي صحيح مثل أيب وأذر.

ب- ثنائي ملحق ببناء الرباعي وهو المكرر أو الذي ضعف فيه حرفان مثل ذل ذل.

ج- ثنائي معتل وما تشعب منه مثل باء وثوي (اعتبر الهمزة من حروف العلة) وهكذا (٢٤).

وقد تتبع الدكتور عبد السميع أبواب الجمهرة فحصرها في سبعة عشر بابا (٢٥).

شعب ابن دريد الثلاثي إلي ست شعب، ولم تسلم أبواب الثلاثي من الخلط والتكرار ومن الغريب أنه يعتبر "هاء التأنيث" أحد الحروف الثلاثة في بناء الثلاثي الصحيح وهو خطاء دون شك ومثال ذلك ما ذكره في مادة ج ع هـ. قال:

العجة: "ضرب من الطعام عربية صحيحة".

وحق هذه المادة أن تذكر في أبنية الثنائي الصحيح مادة ج ع (٢٦). أبواب الرباعي منتظمة مرتبة إلا في النادر والأمر الوحيد الذي يجب أن نلاحظه، هو أنه يعتبر تأ التانيث هاء أصلية في الكلمة، فلفظ الثبرة يعالج علي أنه رباعي مؤلف من الباء والثاء مع الراء والهاء (٢٧).

٢- رتب الكلمات تحت كل باب علي الترتيب الهجائي العادي لأنه اعتبر الترتيب الصوتي مسلكا وعرا لا يقدر علي السير فيه إلا المتخصصون (٢٨).

٣- قلب الألفاظ التي تقع تحت كل حرف علي الصور المستعملة في العربية (٢٩).

٤- اهتم بالنوادر؛ وقد ألحق بباب الثلاثي بابا سماه "النوادر في الهمز" كما اهتم باللهجات (٣٠).

شرح المؤلف منهجه في مقدمته بقوله: "ابتدأت فيه (كتاب الجمهرة) بذكر الحروف المعجمة التي هي أصل تفرع منها جميع كلام العرب وعليها مدار تأليف، وإليها مآل أبنية، وبها معرفة متقاربة، ومن متبائنة، ومنقادة، ومن جامحة، ولم أجرفي إنشاء هذا الكتاب إلي الإزراء بعلمائنا ولا الطعن في أسلافنا، وأني يكون ذلك، وإنما علي مثالهم نهتدي، وبسبيلهم نقتدي، وعلي ما وصلوا نبني. وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن الفراهيدي-رضوان عليه- كتاب العين، فأتعب من تصدي لغايته، وعني من سما إلي نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف وكل من بعد له تبع، أقر بذلك أم جحد، ولكنه رحمه الله في كتابه كان مثقلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته" (٣١).

وهذا المنهج يوافق الخليل جملة، ويخالفه في الاهتمام ببعض الفروع مثل الملحقات والنوادر. ويظهر منه أن ابن دريد لم يخلص لنظام الأبنية كل الإخلاص، إذ أفرد بعض الأبواب علي أساس آخر هو الندرة، ولم يفعل ذلك الخليل (٣٢).

مصادر الجمهرة:

ابن دريد في معجمه أمين ينقل عن العلماء ويتحدث عن مصادره، فيذكر أسماء من ينقل عنهم، ويشير أحيانا إلي كتبهم وممن نقل عنهم أو أشار إليهم أو إلي كتبهم: مثل الخليل، والأصمعي وأبي حاتم وأبي عبيدة وكذلك هو أمين حين لايعرف شيأا يقول: "لا أدري ما هو" (٣٣).

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: "لم يذكر ابن دريد في مقدمته مصدرا لكتابه سوي كتاب "العين" للخليل بن أحمد، غير أنه يطالعنا في نص الجمهرة نفسها، أسماء الأصمعي وأبي عبيدة وأبي حاتم وأبي زيد وغيرهم" (٣٤).

يقول الدكتور عبد اللطيف الصوفي: "إنما رجع ابن دريد إلي مراجع أخري غير العين لتشير بجلاء إلي أنه اطلع علي كتب كثيرة في اللغة والأدب والتفسير والتاريخ، وأفاد منها في تأليف كتابه" (٣٥) وقد جمع مواده من كتاب العين ومن رسائل أخري للأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما (٣٦).

طبعاته المتوافرة للبحث

طبع الكتاب لأول مرة في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٤هـ بعناية زين العابدين الموسوي معتمدا علي ثلاث نسخ من مخطوطاته (٣٧). ويقول الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه: طبع معجم الجمهرة في حيدر آباد بالهند عام ١٣٤٤هـ في ثلاثة مجلدات ألحق بها مجلد خاص للفهارس. وقد قام علي تصحيحه رجلان هما الشيخ محمد السورتي والمستشرق الألماني فرينس كرنكو (٣٨).

ثم صدر كتاب الجمهرة في طبعة ثانية بطريقة التصوير عن الطبعة الهندية هذه (٣٩).

يقول الدكتور أمجد الطرابلسي في حاشية كتابه: طبع الجمهرة في حيدر آباد بين سنتي ١٣٤٤-١٣٥٢هـ (٤٠).

الهوامش

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – للسيوطي – ٦٦/١ تحقيق – مصطفي عبد

القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان

(٢) الاشتقاق–لابن دريد– تحقيق عبد السلام هارون – دار الجيل بيروت – ط ١–١٩٩١م –ص٣.

(٣) الفهرست–لابن نديم–تحقيق رضا–دار الميسرة،ط٣، ١٩٨٨م، ص ٦٧

(٤) معجم الأدباء – لياقوت الحموي – تحقيق د/احسان عباس دار العرب الاسلامي – ١٢٨/١٨

(٥) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٩٦/١

(٦) معجم الأدباء ٢٨/١٨.

(٧) المرجع السابق ١٢٩/١٨.

(٨) إنباه الرواة للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

(٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٦٦/١.

(١٠) الفهرست ص ٦٧.

(١١) موسوعة علوم اللغة العربية – للدكتور أميل يعقوب – دار الكتب العلمية – ط١ – ٢٤٨/٨.

(١٢) المعاجم العربية (دراسة تحليلية) ص ٤٢، انظر أيضا: إنباه الرواة: ٩٦/٣، معجم الأدبائ: ١٢٧/١٨.

(١٣) بغية الوعاة ٧٨/١.

(١٤) حاشية المعاجم العربية (دراسة تحليلية) ص ٤٢.

(١٥) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة – مكتبة المثني – دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٨٥/٤.

(١٦) المرجع السابق ٦٣/٥.

(١٧) معجم الأدباء ١٢٠/١٨.

(١٨) مقدمة الجمهرة – لابن دريد – طبعة جديدة بالأوفست – مكتبة المثني بغداد – ٥/١.

(١٩) المعاجم العربية (دراسة تحليلية)، ص ٥٧.

(٢٠) المعجم العربي ٣١٦/٢.

(٢١) num2652&er=3 www.toislam.net/files.asp?ord

(kkk (26-01-2009&per=1229&

(٢٢) المرجع السابق، انظر أيضا: مقدمة الجمهرة اللغة – لابن دريد – طبعة جديدة بالأفست مكتبة المثني – بغداد – ٣/١.

(٢٣) =per&num2652&www.toislam.net/files.asp?order=3

(kkk-(26-01-2009&1229

(٢٤) البحث اللغوي عند العرب ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٢٥) المعاجم العربية دراسة تحليلية ص ٤٨.

(٢٦) المرجع السابق ص ٥١-٥٢.

(٢٧) المعجم العربي ٣٢٣/٢.

(٢٨) البحث اللغوي عند العرب ص ٢٠٤.

(٢٩) المعجم وعلم الدلالة: للدكتور سالم سليمان القماش -http:www.angelfire.com/tex zam/dilalahessays/lexicons.htm

(٠٣-٠٨-٢٠٠٨)

(٣٠) موسوعة علوم اللغة العربية ١١٥/٥.

(٣١) اللغة ومعاجمها للدكتور عبد اللطيف الصوفي – دار طلاس – دمش– ط الأولي – ١٩٨٦م. ص ١٣١– ١٣٢.

(٣٢) المعجم العربي ٣١٨/٢.

(٣٣) جمهرة اللغة – لابن دريد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ١–٢٠٠٥م ٢٩٧/١.

(٣٤) فصول في فقة العربية–للدكتور رمضان عبد التواب– دار المسلم للطباعة والنشر، القاهرة ط ١٩٧٩م–ص٢٤١.

(٣٥) اللغة ومعاجمها ص ١٣٦.

(٣٦) تهذيب اللغة ١٨/١.

(٣٧) مقدمة مختصرة عن المعاجم – عبد العزيز الحميد www.voice of Arabic.net/index.php?option=com-content & catid=24:2008-06-08-09-55-02&93 ltemid=39 & id=153-&view=article (27-05-2008)

(٣٨) البحث اللغوي عند العرب ص ٢٠٧.

(٣٩) اللغة ومعاجمها ص ١٤٢.

(٤٠) نظرة تاريخية في حركة التاليف عند العرب الدكتور أمجد الطرابلسي – ط ٥، ١٩٨٦م–دار قرطبة ص ٢٩.